تفريغ المجلس (٠١)

من سلسلة (شرح متن الأصول من علم الأصول).

فرّغته الأستاذة أم مصعب.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فكما وقع الاتفاق في آخر درس أخذناه في كتاب الأسئلة و الأجوبة في علم الصرف، قلنا نأخذ بعده رسالة في علم يقع الاتفاق عليه بين الطلبة، و كان الاختيار أن ندرس في "**علم أصول الفقه**"، ندرس كتابا مختصرا موجزا في ذلك ووقع الاختيار على "**الأصول من علم الأصول**" لشيخنا محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ رسالة مختصرة موجزة في أصول فقه، و يعني في الحقيقة أنا وافقت على الرسالة هذه، لاختصارها و إيجازها وسهولتها، وكونها بأُسلوب سهل مُيسر وبسيط، فلعلنا نأخذها لاختصارها، ويكون بعد ذلك متن آخر لعلنا نتوسع فيه أكثر، ولعله يكون متن من تأليف علماء هذا البلد، ولعله يكون مؤلفا من مؤلفي المالكية مثل "**مبادئ علم الأصول**" لعبد الحميد بن باديس -رحمه الله- أو نأخذ "**الورقات**" بشرح العلامة الحطاب الطرابلسي -رحمه الله- أو نأخذ "**نظم الورقات**" للعلامة الشيخ محمد باي بن عالم -رحمة الله تعالى عليه- له نظم في ذلك، فلعل يكون واحد من هذه الثلاث إن شاء الله تعالى، لكن كتقدمة ومعرفة مسائل هذا العلم باختصار وإيجاز و بسهولة.

نأخذ الرسالة هذه لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة.

فإذن قلنا نأخذ الرسالة هذه في أصول الفقه لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، لعلي أذكر مقدمة موجزة مختصرة بين يدي الكتاب على العادة، وأختصر المقدمة في هذا الفن و أقتضِبُها، ولعلها في متن آخر تكون أوسع إن شاء الله تعالى لأنها مهمة.

فأقول: لا شكّ أن لكل فن حتى يفهم ويضبط لابد من معرفة بعض متعلقاته، قد ذكر أهل العلم أنه لا يمكن ضبط الفن وضبط العلم إلا إذا عُرِفت حقيقته ومعناه ومسائله وموضوعه وما الذي يرمي إليه، فالإحاطة بهذه الأمور ممّا تجلي في نفس الطالب معاني هذا العلم ابتداء ولا يزال وهو يتدرّج في مسائله أو في متونه وكتبه، لا يزال يتدرج في ضبطه حتى يُلمّ به بحسب ما دَرَس وما تعلم وعلى يد من أخذ ذلك العلم، وهذه المسائل والأصول التي ينبغي أن تُدرك في بداية دراسة العلم والفن يسميها العلماء "**بالمبادئ**".

والمبادئ: جمع مبدأ، والمبدأ مصدر ميمي وهو مأخوذ من البدء وهو أول الشيء، وفي البخاري بوّب **كتاب**: **بدأ الوحي** أول الشيء وذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أول ما كان يأتيه ﷺ من الوحي أو أول ما بدئ به ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة أو قالت الصالحة-الحديث- فالبدء أول الشيء والمبدأ هو أول الشيء، فالمبادئ هي أوليات العلم وهذه المبادئ ذكرها أهل العلم في عشرة أمور، وجمعها ابن الصبان (توفي:١٢٠٦ هجري) في أبيات قال فيها:

إن مبادِي كلِّ فنٍّ عشرةْ * الحدُّ والموضوعُ ثم الثمرةْ**

ونسبةٌ وفضلُه والواضعْ * والاسمُ لاستمدادُ حكمُ الشارعْ**

مسائلٌ(هذه عشرة) **والبعضُ بالبعضِ اكتفى *** ومن درى الجميعَ حازَ الشرفا**

(بعضهم يزيد الشرف العاشر)

هذه المبادئ يحسن بكل من أراد أن يتعلم علما أن يعرفها، وأن يطلع عليها أول ما يدرس هذا العلم، لأنها تقرب له مرامي هذا العلم وتعطيه كما يقال نظرة وإحاطة إجمالية بهذا العلم الذي يريد.

الحدُّ: والمراد بالحد الحاجز والمانع، ما يفصل الشيء عن الآخر، ما يفصل هذا عن هذا، فحد الفن حد العلم ما يميزه عن غيره.

الموضوع: ماذا تدرس؟ ما هي الثمرة؟ وما نسبته: بالنسبة للعلوم الشرعية، وما هو وفضله؟ ومن وضعه؟ وما اسمه؟ ومن أين يستمد ويؤخذ؟ وما حكم الشرع فيه؟ وماهي المسائل التي تدرس فيه؟

١-**الحد**: أي التعريف بصورة قريبة، أي حد أصول فقه أو تعريف أصول الفقه.

إذا نظرنا إلى هذا العلم الذي يسمى أصول الفقه، هل ترونه مكونا من كلمة واحدة أو كلمتين؟ من كلمتين، فيحسن بنا حتى نعرف حقيقة هذا العلم أن نعرف كل كلمة على حدى، ما معنى أصول؟ ما معنى فقه؟ ولهذا يقول العلماء هذا الاسم مركب إضافي فيه مضاف ومضاف إليه **أصول**: مضاف، **فقه**: مضاف إليه وأما باعتباره علم فهذا يسمى: إطلاق اللقب، فإذن أول شيء نعرف المضاف و المضاف إليه، ثم نعرف المعنى اللقبي.

ما هو المضاف؟ أصول والأصول: جمع أصل، الأصل هو الأساس، أساس الشيء و قاعدته، هو أسفل الشيء، هو ما ينبني عليه غيره، أو ما ابتنى عليه غيره، و ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "**مقاييس اللغة العربية**" ، هذا الكتاب مهم للطالب، ينبغي للطالب أن يعرفه وأن يجعله ركيزة في الرجوع لمعرفة معاني الكلمات، فيقول في كلمة أصل: هذه الكلمة الهمزة والصاد واللام متباعدة الأطراف، الهمزة من أقصى ممّا يلي الصدر، و الصاد من اللسان، طرف اللسان فوق الثنايا العليا، واللام نطعي اللسان مع الحنك الأعلى تدل على ثلاث معاني: أساس الشيء -أسفله-، والحية وما بعد النهار وآخر النهار بعد العشي، الأصيل (بُكْرَةً وَأَصِيلًا).

فإذن: أسفل الشيء فهذا هو معناه في **اللغة**، الأصل: أسفل الشيء، أساسه، قاعدته، ما يبنى عليه غيره ما ابتنى عليه غيره هذا هو الأصل في لغة العرب.

أما في **الاصطلاح**: فيذكر الأصل ويراد به معان:

-المعنى الأول: **الدليل**، يقول العلماء الأصل في وجوب النية قوله ﷺ : (إِنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات) مثال: الأصل في تحريم الميتة قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) ما معنى الأصل؟ الدليل.

-المعنى الثاني: الأصل بمعنى: **القاعدة المستمرة**، تقول: الأصل في الميتة حِرْمَتها، الأصل: تحريم الميتة إلا للمضطر هذه قاعدة مستمرة.

-المعنى الثالث: للأصل: **الراجح** من الأمرين أو أكثر، تقول الأصل في الكلام حمله على الحقيقة، الراجح في حمل الكلام أنه يحمل على الحقيقة لا على المجاز.

-المعنى الرابع: الأصل بمعنى: **استصحاب الحال السابق**: تقول لمن كان على طهارة وشكّ فيها وسألك، فتقول: أنت متيقن الطهارة، يقول: نعم، تقول: الأصل بقاء الطهارة، **اليقين لا يزول بالشك**، لكن عند معشر المالكية فيه نظر، قال: النواقض ردة أو شك حدث في طهر أو نقص أو سبق و الحدث عندهم الشك في الطهر أو في النقض أو في أيهما سبق عند المالكية على تفصيل، فإذن هذا المعنى الرابع للأصل.

-المعنى الخامس: الأصل **المقيس عليه**، الناظم قال: ينقصه في باب نواقض الوضوء:

ينقصه الردة أو شّك حدث * في طهر أو نقضٍ وسبقٍ والحدث**

-المعنى الخامس: الأصل الذي هو المقيس عليه تقول: النبيذ حرام لعلة الإسكار إلحاقا له بالخمر، فالخمر هو الأصل والنبيذ هو الفرع، والعلة الإسكار، والحكم هو التحريم، هذا معنى الأصل.

إذن أنهينا الكلام عن المضاف، يأتي الكلام على المضاف إليه الذي هو الفقه، **الفقه**: هو الفهم وهو العلم وهو إدراك الشيء ويقول أيضا صاحب "**مقاييس اللغة**" ابن فارس: الفاء والقاف والهاء للدلالة على فهم الشيء و إدراكه والعلم به، قال تعالى {فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً}النساء٧٨ وقال{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ}هود٩١ فهذا معناه الفهم، ومن أهل العلم من يقيّده بالفهم الدقيق الذي هو مبني على نظر و اجتهاد.

و **اصطلاحا**: عرّفه علماء الشرع والاصطلاح بتعاريف كثيرة من أشهرها: **هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية**، هذا هو الفقه.

-**العلم** معروف وهو: الإدراك، إدراك الشيء سواء كان قطعيا يقينيا أو غالبيا، ظنا غالبيا.

-**بالأحكام**، الحكم: إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، والمراد هنا الحكم الشرعي كما سيأتي.

-**الشرعية**: لإخراج الحكم **العقلي**، **والعادي** المبني على التجربة، **والحسي**، والحكم **اللغوي**، هذه كلها تخرج الحكم العقلي، الأربعة نصف الثمانية، والحكم العادي وأنه إذا أرعدت تُمطر مبني على التجربة، الحكم الحسي: ما يقع بالحواس الخمس، و الحكم اللغوي: و أن الفاعل مرفوع و المفعول به منصوب وهكذا.

-**المكتسبة**: قالوا لإخراج علم الله تبارك وتعالى لا يقال مكتسب، كما قال الإمام الطحاوي: (**ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفاته، وكان من صفاته أزليا، لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق...**) إلى آخر ما قال، فالمكتسب من الأدلة.

ذكر الأدلة لإخراج علم الملائكة فإنه إلهام من الله، وعلم الرسل فإنه وحي أوحاه الله إليهم، وسيأتي معنى الدليل، الأدلة: جمع دليل.

-**التفصيلية**: لإخراج الأدلة الكلية التي هي: الكتاب والسنة والإجماع و القياس، والأدلة المختلف فيها كالاستصحاب والاستحسان و الاستصلاح وسد الذرائع وقول الصحابي والعرف وعمل أهل المدينة أو إجماع أهل المدينة وغيرها.

الأدلة التفصيلية: أي الجزئية {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ}البقرة٤٣ {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى}الإسراء٣٢و {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا }المائدة٣٨ و {فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ}الإسراء٢٣ و {وَلَا تَجَسَّسُوا}الحجرات١٢ {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً}، {اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ} {اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}آل‌عمران١٠٢ هذه أدلة تفصيلية على مسائل معينة ليس الأدلة الإجمالية، الأدلة الإجمالية القرآن كله دليل، السنة هذا دليل إجمالي لكن النصوص في أعيان المسائل تسمى أدلة تفصيلية هذا معنى الفقه، إذن المضاف الذي هو أصول، ما المعاني الاصطلاحية له؟ **خمسة**: أقربها لهذا العلم الأول الذي هو الدليل.

-**والفقه**: عرفناه، وبالتالي: ما معنى أصول الفقه باعتبار المضاف والمضاف إليه؟ هي أدلة الفقه، أصول الفقه باعتباره علم مكون من مضاف ومضاف إليه، المراد به أدلة الفقه، أمّا باعتباره لقبا فهذا إن شاء الله في درس لاحق.

نكتفي بهذا

[الإجابة عن الأسئلة]

س١: كيف لطالب العلم أن يحصي مفردات اللغة العربية؟

ج١: يستحيل أن تحصيها، وقد قال الشافعي في كتابه الرسالة **(لا يحصيها إلا نبي)** وبالتالي في معرفة مفردات اللغة العربية أنصح بقراءة كتب معينة، وفي الحقيقة كان مفترضا مع الطلبة أن نقرأ بعضا منها كنت صوّرت هذه الكتب المختصرة عندي في المقصورة لكن لم يتيسر الوقت لدراستها بعد العشاء، منظومة، "**تذكرة الحفاظ**" هي منظومة مختصرة فيها نحو أزيد من مائتين بيتًا تذكر المفردات وما هو من معانيها القريبة.

الجمال والحسن والبهاء، والنور والضياء، شرع وبدأ، وخلق وبرأ، وهكذا... أبيات شعرية، هذا نظم حبذا لو يُقرأ، وبعده "**كفاية المتحفظ**" لابن الأجْدابي الطرابلسي موجود، وقيل أن الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي كان يحفظه عن ظهر قلب، وبدأت أنا أنظم فيه أبياتا لكن لم أتمه بعد، وفيه بعده أيضا كتاب جميل "**الألفاظ**" لقدامة ابن جعفر وفيه "**الألفاظ الهمدانية**" للهمداني هذه مهمة في مفردات اللغة لو تقرأ هذه جميلة جدا ونافعة، وهذه طريقتها، يعني النظم الأول يذكر الكلمة ومفرداتها يعني ما يقال بمثلها: الدين والشريعة و الملة يسمى مثلا هكذا، الجمال والحسن والبهاء والضياء والنور، خلق وبرأ وابتدأ واخترع و أبدع وهكذا....

ابن الأجدابي: يأتي على الأشياء، يعني مثلا أسماء الرجال، أسماء أعضاء الرجل، أعضاء الجسم، الصفات الحسنة في الرجل ماهي؟ ماذا يُقال: جِهبذ، ضَغْضَمٌ وكذا، صفات الذمّ، صفات الحسن في المرأة، تسمية أعضاء الجسم، تسمية الحيوانات، تسمية أعضاء الحيوانات، تسمية الجبال، النبات وهكذا

وأما قدامة بن جعفر ابن قدامة والهمذاني فهذا مبوب على أبواب يعني في الجمال في الحسن في الفرح في الحزن في المصيبة في التهنئة، وهو جيّد.

ويقرأ أيضا في "**القاموس**" مختصر وهو "**مختار الصحاح**" لأبي بكر الرازي من علماء قرن نهاية التاسع وبداية العاشر.

س٢:هل كتاب (إصلاح المنطق) يعد من الكتب المفيدة لمعرفة مفردات اللغة؟

ج٢:لا، كتاب "**إصلاح المنطق**" في الحقيقة هو عنوان على غير ما يتبادر إلى الذهن، إصلاح المنطق ليس المنطق اليوناني، المنطق هو نطق اللسان، فابن السِّكيتْ يأتي إلى الكلمات ويذكر ما تقال على غير صيغة والمعنى واحد، وما تقال على غير صيغة و المعنى يختلف، وما يصاغ من هذه الكلمة على وزن كذا، وما يصاغ منها على غير ذلك الوزن فَعَّال و فُعَال و فِعَال فَعِيل و فِعِّيل وهكذا أوزان، ويُنتفع منه في هذا الباب ولكن ما ذكرته سابقا يظهر هو أقوى، هذا في باب المفردات، أمّا غير هذا كالأدب -وهذا شيء آخر-، لعلي أعطيت جوابا مُقْتَضبا والله تعالى أعلم.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.